

تفسير أبي السعود

البقرة 18 .

ما بالهم اشبهت حالهم حال مستوقد انطفأت ناره او بدله من جملة التمثيل على وجه البيان والضمير على الوجهين للمنافقين والجواب محذوف كما في قوله تعالى فلما ذهبوا به للإيجاز والأمن من الإلباس كأنه قيل فلما أضاءت ما حوله خمدت فبقوا في الظلمات خابطين متحيرين خائبين بعد الكدح في إحيائها واسناد الإذهاب الى الله تعالى إما لأن الكل بخلقه تعالى وإما لأن الانطفاء حصل بسبب خفى او امر سماوى كريح او مطر واما للمبالغة كما يؤذن به تعدية الفعل بالباء دون الهمزة لما فيه من معنى الاستصحاب والامسك يقال ذهب السلطان بما له اذا اخذه وما اخذه الله فأمسكه فلا مرسل له من بعده ولذلك عدل عن الضوء الذي هو مقتضى الظاهر الى النور لأن ذهب الضوء قد يجمع بقاء النور في الجملة لعدم استلزام عدم القوى لعدم الضعيف والمراد إزالته بالكلية كما يفصح عنه قوله تعالى وتركهم في ظلمات لا يبصرون فإن الظلمة التي هي عدم النور وانطماسه بالمرّة لا سيما اذا كانت متضاعفة متراكمة متراكبا بعضها على بعض كما يفيد الجمع والتنكير التفخيمي وما بعدها من قوله تعالى لا يبصرون لا يتحقق الا بعد ان لا يبقى من النور عين ولا اثر واما لان المراد بالنور ما لا يرضى به الله تعالى من النار المجازية التي هينار الفتنة والفساد كما في قوله تعالى كلما اوقدوا نارا للحرب اطفأها الله ووصفها بإضاءة ما حول المستوقد من باب الترشيح او النار الحقيقة التي يوقدها الغواة ليتوصلوا بها الى بعض المعاصي ويهتدوا بها في طرق العيث والفساد فأطفأها الله تعالى وخيب آمالهم وترك في الأصل بمعنى طرح وخلق وله مفعول واحد فضمن معنى التصيير فجرى مجرى افعال القلوب قال ... فتركته جزر السباع ينشئه ... يقضن حسن بنانه والمعصم ... والظلمة مأخوذة من قولهم ما ظلمك ان تفعل كذا أي ما منعك لأنها تسد البصر وتمنعه من الرؤية وقرئ في ظلمات بسكون اللام وفي ظلمة بالتوحيد ومفعول لا يبصرون من قبيل المطروح كأن الفعل غير متعد والمعنى ان حالهم العجيبة التي هي اشتراؤهم الضلالة التي هي عبارة عن ظلمتي الكفر والنفاق المستتبعين لظلمة سخط الله تعالى وظلمة يوم القيامة يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين ايديهم وبأيمانهم وظلمة العقاب السرمدي بالهدى الذي هو النور الفطري المؤيد بما شاهدوه من دلائل الحق او بالهدى الذي كانوا حصلوه من التوراة حسيما ذكر كحال من استوقد نارا عظيمة حتى يكاد ينتفع بها فأطفأها الله تعالى وتركه في ظلمات هائلة لا يتسنى فيها الإبصار صم بكم عمى اخبار لمبتدأ محذوف هو ضمير المنافقين او خبر واحد بالتأويل المشهور كما في قولهم هذا حلو حامض

والصمم آفة مانعة من السماع واصله الصلابة واكتناز الاجزاء ومنه الحجر الاصم والقناة
الصماء وصمام القارورة سداها سمى به فقدان حاسة السمع لما ان سببه اكتناز باطن الصماخ
وانسداد منافذه بحيث لا يكاد يدخله هواء يحصل الصوت بتموجه واليكم الخرس والعمي عدم
البصر عما من شأنه ان يبصر وصفوا بذلك مع سلامة مشاعرهم المعدودة لما انهم حيث سدوا
مسامعهم عن الإصاخة لما يتلى عليهم من الآيات والذكر الحكيم وابوا ان يتلقوها بالقبول
وينطقوا بها السنتم ولم يجتلوا ما شاهدوا من المعجزات الظاهرة على يدي رسول